

الفصل الثاني التفسير ومنهجه

١. التفسير وتطوره

أ. تعريف التفسير والتأويل

التفسير في اللغة: الايضاح والتبيين، ووزنه تفعيل من الفسر، وهو البيان و الكشف.^١ وفي لسان

العرب: فسر: الفسر: البيان: فسر الشيء يفسره، بالكسر ويفسره بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير

والفسر: الإبانة وكشف المغطى.^٢

أما التفسير في الاصطلاح هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان

معانيه واستخراج أحكامه وحكمه^٣. وعرفه غيره بأنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته

على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.^٤

^١ الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، محات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتبة الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ. ص:

١٨٧

^٢ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثلاثون ١٤١٧هـ. ص: ٣٢٣، وانظر ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، المجلد الثالث. ص:

٦٣٢

^٣ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ج ٢ ص: ١٧٤. وانظر مناع

القطان، المصدر السابق، ص: ٣٢٤

^٤ محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ص: ٦٥ -

٦٦. وانظر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الثاني، ص: ٢٨٣ - ٢٨٧.

فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات، وقولنا ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

وقولنا: ومعانيها التي تحمل بها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز.

وقولنا: وتمتات لذلك هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك.

من التعاريف السابقة، أن التعريف عندي هو علم يبحث فيه عن القرآن إما على النطق ألفاظه والتركيب في الجملة وغيرها بقدر طاقة العقلية البشرية لأن أحق من فهم معاني القرآن ومن يعلم حقاً ما أراد الله في كتابه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما التأويل فهو لغة من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المفسر أرجع الآية إلى ما يحتمله من المعاني. ويرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير حتى قال القاموس: أول الكلام تأويلاً، وتأوله بمعنى: دبره وقدره وفسره، ومنه قوله تعالى (ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله).

وأما في الاصطلاح فهو عند المتقدمين بمعنى التفسير، فيقال تفسير القرآن، ويقال تأويل القرآن، بمعنى واحد.^٥

ب. الفرق التفسير والتأويل

اختلف العلماء في تحديد معناهما^٦ :

(١) قال أبو عبيدة وطائفة معه "التفسير و التأويل بمعنى واحد" فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من العلماء التفسير.

(٢) قال الماتوردي: التفسير هو القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

(٣) قال البغوي ووافقه الكوشي "التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. والتفسير هو كلام في أسباب النزول وشأنها وقصتها" بالتصريف. وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

(٤) التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريقة الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا قول المشهور عند المتأخرين.

^٥ محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ص : ٦٦ وانظر محمد بن لطف الصباغ، المصدر السابق. ص : ١٨٨ - ١٨٩ وانظر مناع القطان، المصدر السابق. ص : ٣٢٣ - ٣٢٧، وانظر جلال الدين السيوطي، نفس المرجع، ص: ٣٨١-٣٨٣

^٦ كامل موسى وعلي دحروج ، كيف نفهم القرآن، دار بيروت المحروسة، بيروت، ١٤١٦هـ. ص: ٦٩، وانظر محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ص: ٦٦

وأما اختلاف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل على ضوء ما سبق في معنى التفسير والتأويل نستطيع أن نستخلص أهم الآراء فيما يأتي:

١. إذا قلنا: إن التأويل هو التفسير الكلام وبيان معناه، فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان أو

مترادفان، ومنه دعوة رسول الله لابن عباس " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"^٧

٢. وإذا قلنا: إن التأويل هو نفس المراد بالكلام، فتأويل الطلب نفس الفعل المطلوب، والتأويل الخبر

نفس الشيء، والمخبر به، فعلى هذا يكون الفرق كبيرا بين التفسير والتأويل، لأن التفسير شرح

وإيضاح للكلام، ويكون وجوده في الذهن بتعقله، وفي اللسان بالعبارة الدالة عليه، وأما التأويل فهو

نفس الأمور الموجودة في الخارج، فإذا قيل: طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا هو

الغالب في لغة القرآن.^٨

فلذلك، من تلك التعريفات الكثيرة يستطيع الباحث أن يأخذ النتيجة بأن التفسير هو ما كان راجعا

إلى الرواية، والتأويل هو ما كان راجعا على الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. وأما التأويل

فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة

مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحيث السياق ومعرفة الأساليب العربية واستنباط

المعاني من كل ذلك.^٩

^٧ مناع القطان، المصدر السابق، ص: ٣٢٤

^٨ نفس المراجع ص: ٣٢٧

^٩ الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، مكتبة مصعب عن عمير الإسلامية. بيروت ٢٠٠٤، الجزء الأول، ص: ١٧-

ج. تاريخ التفسير

جرت سنة الله أن يرسل كل رسول بلسان قومه ليتم مخاطبه معهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم ليبين لهم)^{١٠} وأن يكون الكتاب الذي أنزل عليه بلسانه ولسانهم، وإذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربيا فإن الكتاب الذي أنزل عليه يكون بلسان عربي.^{١١}

أما التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. القرآن كتاب عربي مبين، نزل على الرسول الكريم ليبلغه قومه الفصحاء البلغاء، فلم يستغلق فهمه بالإجمال على معظمهم، إذا استثنينا ما تشابه منه. وكان سببا في دخول عدد كبير منهم في الإسلام، ولكن معاني القرآن لا تحدد ولا يحاط بها، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق فهما لهذا الكتاب كان من مهماته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم.^{١٢}

وأما التفسير في عهد الصحابة. لقد أخذ الصحابة القرآن عن النبي مشافهة، وأخذوا معه كذلك شرحه وبيان ألفاظه التي غمضت عليهم وأشكل فهمها. فهم كانوا يفهمون القرآن لأنه بلسان عربي، وهو لسانهم.^{١٣} وكان الصحابة يعتمدون في تفسيرهم للقرآن بهذا العصر على:

أولا: القرآن الكريم نفسه ويسمى تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير بالمأثور.

^{١٠} سورة إبراهيم: ٤

^{١١} محمد لطفي الصباغ، المصدر السابق، ص: ١٩٩-٢٠٠، وانظر مناع القطان، المصدر السابق، ص: ٣٣٣-٣٣٤

^{١٢} كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ١٦٣-١٦٥

^{١٣} نفس المرجع، ص: ١٦٦-١٦٧

ثانيا: النبي صلى الله عليه وسلم فهو المبين للقرآن، وكان الصحابة يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات. ومن القرآن ما لا يُعلم تأويله إلا ببيان الرسول، كتفصيل وجوه أمره ونهيّه، ومقادير ما فرضه الله من أحكام.

ثالثا: الفهم والاجتهاد، فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يجدوا شيئا في ذلك عن رسول الله. اجتهدوا في الفهم فأختم من خلص العرب، يعرفون العربية ويحسنون فهمها ويعرفون وجوه البلاغة فيها.^{١٤}

وأما التفسير في عهد التابعين. جاء التابعون فنقلوا روايات التفسير عن الصحابة، وزادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم، وما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير. ولكن هذه الأقوال في التفسير لم تكن مجموعة ولا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف، بل كانت تروى منثورة تفسيرا لآيات متفرقة بين روايات لا علاقة لها بالتفسير، أي إن التفسير كان مختلطاً بالحديث غير مميز عنه. وكان التابعون من أهل كل قطر يعنون برواية ما سمعوه وما ورد من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم. وفي مكة نشأت مدرسة ابن عباس واشتهر من تلاميذه بمكة: سعيد بن جبير، مجاهد وعكرمة مولى ابن عباس. وفي المدينة اشتهر أبي بن كعب بالتفسير أكثر من غيره، وكثر ما نقل عنه في ذلك. واشتهر من تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة، وهم: زيد ابن أسلم، وأبو العالية، محمد بن كعب القرظي. وفي العراق نشأت مدرسة ابن مسعود.^{١٥}

^{١٤} محمد لطفي الصباغ، المصدر السابق، ص: ٢٠٢، وانظر مناع القطان، المصدر السابق، ص: ٣٣٦

^{١٥} كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ١٨٠ - ١٨٢

هـ. مصادر التفسير

نعرض الآن لجملة مصادر يعول عليها من أجل فهم القرآن وتفسيره وهذه المصادر التي نبتغي التحدث

عنها^{١٦} هي:

- المصدر الأول: القرآن نفسه، فهو خير طريق لتبين نفسه بنفسه، وقد قيل احسن طريق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن. فما اجمل في مكان فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فانه قد بسط في مكان آخر^{١٧} وهكذا فإن القرآن كثير ما يفسر بعضه بعضا ليكون ذلك أصدق وأجلى مصدر يستفيد منه العلماء ما يراد من كثير من الآيات.^{١٨}
- المصدر الثاني: السنة، وهي أعظم المصادر التي يحتاج إليها طالب التفسير ليتمكن من الوقوف على معاني الآيات والسور وما تحمله من مقاصد وأحكام في جميع جوانب الإسلام، وقال الله تعالى وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا،^{١٩} سواء في ذلك العقيدة من حيث أركانها وأجزاؤها وتفصيلا^{٢٠}.

وبناء على ذلك فإن حاجة القرآن للسنة أمر لا مفر منه وحقيقة لا تقبل النكران أو الجدل. والنبى في

هذه القضية أصلا مخول من ربه تخويلا أن يكشف للأمة عن مقاصد القرآن وعمما يحتويه من معان في

مختلف الجوانب والقضايا. فهو عليه الصلاة والسلام قد نيط به أن يوضح القرآن فيكشف عن معناه

^{١٦} دكتور أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الفرقان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص : ١٤٤

^{١٧} الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المصدر السابق، ج ٢ ص : ١٧٥

^{١٨} دكتور أمير عبد العزيز، المصدر السابق، ص : ١٤٥

^{١٩} سورة الحشر: ٧

ويفسر محتواه ويبين ما ورد فيه من إجمال وذلك من خلال أحاديثه الكثيرة المبسوطة التي تنتشر لتتناول كل القضايا التي تناولها القرآن بإيجاز أو إجمال. وفي هذه المهمة الجليلة للنبي يقول الله: وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم.^{٢٠}

● المصدر الثالث: أقوال الصحابة، وقد قال بعض أهل العلم إلى أن أقوال الصحابي في التفسير يعتبر في منزلة المرفوع إلى النبي. وذلك الذي نقله الحاكم في المستدرک مع أن آخرين قد خلفوه في ذلك قائلين بخصوص الرفع فيما فيه سبب نزول. وما سوى ذلك فهو من باب الرأي لا رواية أو الرفع النبي. على أن أعظم المفسرين من الصحابة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن عباس وهو ترجمان القرآن. ثم جاء التابعون من بعدهم فأخذوا عنهم التفسير ليعلموه الناس ولينشروا دعوة الله في الأرض. ومن بعض التابعين المشهورين الذين برزوا في التفسير أخذوا عن الصحابة الأخيار كل من: الضحاک، سعید بن جبیر، مجاهد، قتادة، الحسن البصري، عطاء الخرساني، محمد بن كعب القرظي، اسماعيل السدي، عكرمة مولى ابن عباس، عطية الصوفي، عطاء بن أبي رباح وآخرون وأبرزهم جميعاً هم: الحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، والضحاک.^{٢١}

● المصدر الرابع: الأخذ بمطلق اللغة. فإن القرآن نزل بلسن العرب، وقال سبحانه وتعالى: "نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين"^{٢٢} وبذلك فإن الاحاطة بلغة العربية في أضربها وفنونها وتفصيلاتها هي ضرورة من الضرورات الاقتدار على تفسير القرآن. ووقد روى البيهقي

^{٢٠} سورة النحل: ٤٤

^{٢١} دكتور أمير عبد العزيز، المصدر السابق، ص: ١٥١

^{٢٢} سورة الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥

في سننه عن مالك بن أنس أنه قال في هذا الصدد "لا أوتي برجل غير عالم بلغات العربية يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا".^{٢٣}

- المصدر الخامس: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع أي أن يستند المفسر في تفسيره للقرآن إلى ما يقتضيه معنى الكلام مما هو مبني على قوة الشرع و الاقتضاب معناه الاقتطاع. والمراد بالتعبير عن هذا المصدر هو أن يستند المفسر إلى ما يؤتته من فهم ذاتي في القرآن على سبيل القدرة الحسية الموهبة بتوفيق الله سبحانه ولذلك ما دعا به النبي لابن عباس بقوله: "اللَّهُمَّ فَهِّمْنِي الدِّينَ وَعَلِّمْنِي التَّأْوِيلَ"^{٢٤} ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن المراد هو التفسير بالرأي على إطلاقه. فان التفسير بمجرد الرأي لا يجوز إلا أن يكون ذلك مستندا إلى أصل من الأصول المعتمدة لدى القيام بالتفسير.^{٢٥}

^{٢٣} دكتور أمير عبد العزيز، المصدر السابق، ص : ١٥٢

^{٢٤} وكان الدعاء مستجابا بما امتن الله به على ابن عباس من قدرة على التفهم والاستنباط، ومن ملكة نفاذة عجيبة في كشف المقاصد واستخراج المعاني التي تحملها كلمات القرآنية وآياته

^{٢٥} محمد بن عبد الله الزركشي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص : ١٦١

٢. منهج التفسير

أ. بيان في الفرق بين المنهج والاتجاه والطريقة واللون

• المنهج

أما المراد من المنهج التفسيري، فهو المسلك الذي يتبعه المفسر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام ومعطيات دينية وأدبية وغيرها، تبعاً لاتجاه المفسر الفكري والمذهبي، ووفق ثقافته وشخصيته.

وقد يعبر عنه بالطريقة الموضوعية التي عالج بها المفسر قضايا التفسير المختلفة، مع إبراز رأيه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا بكل ما يمكن من الوضوح، بخلاف "الطريقة" فإنها مظهر شكلي للطريقة التي سلكها المفسر في تفسيره لآيات القرآن، أو ما يمكن أن نعبر عنه بأنه الناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة الباحث. فالمنهج، يفني بالدراسة الموضوعية والمسالك التفسيرية في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ، والطريقة تعنى بالناحية الشكلية التي انتخبها المفسر في ترتيب المباحث وتعيينها.^{٢٦}

• الاتجاه

هو موقف المفسر ونظرة ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة من السنة والشريعة والمعتزلة والأشاعرة، سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله من تقليد أو تجديد، وكذلك من اعتماد على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما في إطار معين.

^{٢٦} محمد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ص: ٣٢

• اللون

المراد من اللون هو أن الشخص الذي يفسر نصا، يلون هذا النص بتفسيره هو وفهمه إياه، إذ أن المتفهم لعبارة ما هو الذي يحدد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي، الذي يمتد إليه معناها ومرماها. يفعل ذلك كله وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي، لأنه لا يستطيع أن يعد ذلك من شخصيته، ولا يمكنه مجاوزته أبدا، فلن يفهم من النص إلا ما يرقى إليه فكره ويمتد إليه عقله، وبمقدار هذا يحتكم في النص ويحدد بيانه.

ب. أنواع مناهج التفسير

أن القرآن بحر لا تنفى عجائبه، ولا تنقضي على مر الزمان رغائبه، فقد تعددت فيه التفاسير، وتنوعت في فهمه المناهج وأصبحت مكتبة التفسير دليلا واضحا على اهتمام علماء المسلمين بشرح كلمات كتابهم العزيز، ومحاولاتهم توضيح مفاهيم وأغراض القرآن.

وقد قام العلماء بتصنيف هذه المؤلفات التي ظهرت في مكتبة التفسير وتوضيح مناهج أصحابها، كما ذكر عبد الحي الفرماوي في كتابه "البداية في التفسير الموضوعي" وكما قال عبد الستار في كتابه "المدخول الى التفسير الموضوعي" أن أنواع التفسير باعتبار طرائق المفسرين إلى أربعة أنواع: التحليلي، والاجمالي، والمقارن والأخر الموضوعي.^{٢٧}

• التفسير التحليلي

^{٢٧} عبد الستار فتح الله سعيد، المدخول إلى التفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، الأندلسي. ١٩٨٤ م، انظر أيضا عبد الحي الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي: مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية. ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ص: ٢٣

أما التفسير التحليلي هو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لجميع نواحيها، والكشف عن كل مراميها، وذلك بأن يمضي المفسر في شرحه للقرآن مع النظم القرآني على ما هو موجود في المصحف آية بعد آية وسورة بعد سورة، متتبعاً معاني المفردات للألفاظ في شرحها.^{٢٨} التفسير بطريق التحليلي فهو الذي يتبع المفسر ترتيب المصحف فيشرح الجملة من الآيات أو السور أو القرآن من مناسبتها وسبب نزولها ومفرداتها ونحوها في ذلك مما يتقرر به معناها.

وأن التفسير التحليلي ينقسم على سبعة أقسام عند المفسرين وهي: التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي، التفسير الصوفي، التفسير الفقهي، التفسير الفلسفي، التفسير العلمي، التفسير الأدبي الاجتماعي.^{٢٩}

• التفسير الإجمالي

التفسير الإجمالي هو يفسر آيات القرآن مجملاً ومختصراً، ووافياً على المعنى بدون التحليل فيها، ليفهمها القارئ على ما يتضمن القرآن ميسراً، ويستعمل هذا التفسير على أساليب القرآن حتى يظن المستمع بأنها لفظ القرآن مع أنها تفسيره وكتب فيه كتب التفسير على ترتيب المصحف العثماني، والمراد به عند عبد الحي الفرماوي وهو بيان آيات القرآنية بالتعرض لمعناها إجمالاً وذلك بأن يعتمد الباحث إلى آيات القرآنية على ترتيب التلاوة ونظم المصحف فيقصد إلى معاني جملها، متتابعاً ما ترى إليه من مقاصد وما تهدف إليه

^{٢٨} عبد الحي الفرماوي، نفس المصدر، ص : ٢٤ وانظر الدكتور هاشم عبد ياسين المشهداني، التفسير التحليلي، كلية الآداب، بغداد، بالجامعة العراقية ٢٠١٠م - ٢٠١١م، mokh. Sya'roni, Metode Kontemporer Tafsir Al-Qur'an, Semarang: Puslit

IAIN Walisongo. 2012, hal: 22

^{٢٩} عبد الحي الفرماوي، نفس المصدر، ص : ٢٤، وانظر عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، ص : ٢٤

الجميل من المعان.^{٣٠} مثل تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، وتفسير القرآن الكريم لمحمد فريد وجددي، والتفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية، وتاج التفسير لمحمد عثمان المرغان.^{٣١}

• التفسير المقارن

التفسير المقارن هو بيان الآيات القرآنية في مكان واحد ويستطلع آراء المفسرين فيها متتابعاً من كتب في التفسير تلك الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف أو الخلف، سواء كان تفسيرهم من التفسير المنقول أم كان معتمداً على الرأي.^{٣٢} ويوازن بين ما جاء في كل كتاب ومسلوك كل في تفسير الآيات أو السورة موضوع البحث، ثم يقارن بين ما ورد فيها، وأن كلا قد تأثر بالفن الذي غلب عليه. وبدأ هذا المنهج في القرن الخامس الهجري مثل درة التنزيل وغرة التأويل لخاطب الإسكافي (٤٢٠ هـ) والبرهان في التوجيه متشابه القرآن لتاج القراء الكرمانى (٥٠٥ هـ).^{٣٣}

• التفسير الموضوعي

هو عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول (كلما أمكن ذلك) ثم تناولها بالشرح والتفصيل وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن، والكشف عما يمكن أن يكون قد أثر حوله من

^{٣٠} عبد الحي الفرماوي، نفس المصدر، ص: ٤٣، mokh. Sya'roni, op,cit. hal: 22

^{٣١} Nashruddin Baidan, op.cit. hal : 67

^{٣٢} الدكتور عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٤٥، انظر أيضا الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي،

مكتبة تعليم اللغة العربية، اندونيسيا ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٠، mokh. Sya'roni, op,cit. hal: 23

^{٣٣} Nashruddin Baidan, op.cit. hal : 58

شبه الضالين والملحدين من أعداء الدين. وقد اشتمل القرآن على كثير من المباحث والموضوعات المتنوعة التي تخدم الفرد والمجتمع المسلم القوي.^{٣٤}

١. أقسام التفسير

عند الإمام الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان" بأن التفسير ينقسم إلى ثلاثة: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري.^{٣٥}

أ. التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور هو التفسير الذي يعتمد على كل من القرآن نفسه ثم السنة النبوية وما روي عن الصحابة. وأضيف إلى ذلك ما روي عن التابعين وذلك لأخذهم عن الصحابة في غالب ما يقولون.^{٣٦} أن التفسير بالمأثور هو الذي يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التي ذُكرت سابقاً في شروط المفسر، من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة، لأنها جاءت مبيّنة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة، لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين، لأنهم تلقوا ذلك غالباً عن الصحابة. وتفسير بالمأثور إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة النبوية أو التفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة.^{٣٧}

^{٣٤} الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، المصادر السابق. ص: ٧ - ٨، وانظر الدكتور عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٤٩

^{٣٥} محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. ص: ٤٧٨

^{٣٦} الدكتور أمير عبد العزيز، المصادر السابق، ص: ١٥٧، وانظر الزرقاني، نفس المرجع، ص: ١٤

^{٣٧} كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ١٩١، انظر الدكتور عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٢٥، محمد علي

الصابوني، المصدر السابق، ص: ٦٧، انظر أيضا مناع القطان، المصدر السابق، ص: ٣٤٨ - ٣٥٠

ومن الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور: جامع البيان في تفسير القرآن (محمد بن جرير الطبري) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) معالم التنزيل (الحسين بن مسعود البغوي) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (الإمام السيوطي) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (عبد الرحمن بن محمد الثعالبي) فتح القدير (الإمام الشوكاني).

ب. التفسير بالرأي

هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد - وليس منه الفهم الذي يتفق مع روح الشريعة، ويستند إلى نصوصها - فالرأي المجرد الذي لا شاهد له مدعاة للشطط في كتاب الله، وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الروح كانوا من أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأوله على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم. المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول الصحيحة وقواعد سليمة متبعة يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، وليس المراد به مجرد الرأي أو مجرد الهوى أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من الخواطر أو بحسب ما يشاء.^{٣٨}

ج. التفسير الإشاري

هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا. وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم من أجازوه ومنهم من منعه وإليك شيئا من أقوال العلماء لتعرف وجه الحق في ذلك:

^{٣٨} كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ٢١١، انظر محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ص: ١٥٥، انظر أيضا مناع القطان، المصدر السابق، ص: ٣٥١ - ٣٥٣، وانظر الزرقاني، المصدر السابق، ص: ٥٥، الدكتور أمير عبد العزيز، المصدر السابق، ص:

قال الزركشي في البرهان كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } إن المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

وقال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظر يذكر بالنظر ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإجماع والالتباس.

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحظة فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدتهم نفي الشريعة.^{٣٩}

٢. ألوان التفسير

كان الجري مع الزمن في التفسير استدعى تنوعه مع تنوع متطلبات العصر ومتطلباته، بما نستطيع أن نجمل القول في ألوان التفسير التي أورتها النهضة الصناعية العلمية، منذ القرن التاسع عشر للميلاد. أن ألوان التفسير من حيث خلفية المفسر الذي يميل إلى موضوع معين وهو متنوعة، وقال عبد الحي الفرماوي

^{٣٩} وانظر الزرقاني، نفس المرجع، ص: ٥٤٦

بأن ألوان التفسير هي: التفسير الصوفية، التفسير الفلاسفة، التفسير الفقهاء، التفسير العلمي، التفسير الأدبي الاجتماعي، أن السبب في تنوع ألوان كتب التفسير كان نتائج الثقافة.^{٤٠}

(١) التفسير الصوفي

ومن أتباع الثقافة وإزدهارها وتنوع العلوم وتشعبها تطور التصوف واتخذ على يد أصحابه ناحيتين كان لها أثرهما في تفسير القرآن. التفسير الصوفي هو: تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس. ممن نور الله بصائرهم فأدركوا سرار القرآن العظيم، أو انقدت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي، أو الفتح الرباني، مع امكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.^{٤١} فالتفسير الصوفي هو أن يرى المفسر معنا آخر غير معنى الظاهر تحمله الآية الكريمة. ولكنه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه.^{٤٢}

(٢) التفسير الفلسفي

سبق أن ذكرنا أن السبب في تنوع كتب التفسير كان تفتح الثقافة وازدهار دوحتها وتشعب فروعها، ونذكر الآن أنه في هذه الأثناء: نشطت حركة الترجمة في عهد العباسيين، وفتحت كنوز المعارف وترجمت كتبها المتنوعة، ومن هذه الكتب كتب الفلسفة.^{٤٣} التي قرأها المسلمون فأصبحوا حيا لها فريقين:

^{٤٠} عبد الحلي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٣٣

^{٤١} محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ص: ١٧١، وانظر كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ٢٢٨، الدكتور محمد

حسين الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٣٣٩ - ٣٥٦

^{٤٢} عبد الحلي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٢٩

^{٤٣} عبد الحلي الفرماوي، نفس المرجع، ص: ٣٤، انظر أيضا Quraish Shihab, *Sejarah & Ulum Al-Quran*, Pustaka

• فريق لم يتقبلوا، لأنه وجدها تتعارض مع الدين، فكرس حياته للرد عليها وتنفير الناس منها. وكان على رأس هؤلاء الإمام الغزالي وفخر الدين الرازي، الذي تعرض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظرة متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردها وأبطلها بمقدار ما أسمعته الحجة وانقاد له الدليل.

• وفريق أعجب بما إلى حد كبير، رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم وتعاليمه، التي لا يلحقها الشك ولا تحوم حولها الشبهة.

وعمل هذا الفريق على التوفيق بين الفلسفة والدين وإزالة تعارضها ولكنهم لم يصلوا في توفيقاتهم هذه إلا إلى حلول وسطية. كما أن شروحهم لآيات القرآن: شروح تقوم على نظريات فلسفية بحتة، لا يمكن أن يتحلها النص القرآني مجال من الأحوال. ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع، من كتب الفريق الأول: مفاتيح الغيب للفخر الدين الرازي.^{٤٤}

(٣) التفسير الفقهي

نزل القرآن الكريم مشتملاً على آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام الفقهية بمقتضى سليقتهم العربية، وما أشكل عليهم من ذلك رجعوا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما توفي رسول الله جدت للصحابة من بعده حوادث تتطلب من المسلمين أن يحكموا عليها حكماً شرعياً صحيحاً، فكان أول شيء يفزعون إليه لاستنباط هذه الأحكام الشرعية هو القرآن الكريم،

^{٤٤} عبد المحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٣٣ - ٣٥ ، انظر أيضا محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، جزء: ٣، ص: ٩٠

ينظرون في آياته، ويعرضونها على عقولهم وقلوبهم، فإن أمكن لهم أن يُنزلوها على الحوادث التي جدت فيها ونعمت، وإلا لجأوا إلى سنّة رسول الله، فإن لم يجدوا فيها حكماً اجتهدوا وأعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسُنّة، ثم خرجوا بحكم فيما يحتاجون إلى الحكم عليه.^{٤٥}

التفسير الفقهي هو التفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام التكليفية والوضعية المرتبطة بأعمال المكلفين، ومن ثم فهو من التفسير الموضوعي الذي له تعرض لجانب من الآيات القرآنية، لها تعلق مباشر بأعمال المكلفين من عبادات ومعاملات. وإلا فجميع آيات القرآن هي دستورات عملية يجب على المسلمين أن يطبقوا حياتهم الفكرية والعملية عليها، دستورا عاما شاملا لمناحي الحياة كلها.

٤) التفسير العلمي

نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.^{٤٦} وقد وقع هذا النوع من التفسير، واتسع القول في احتواء القرآن كل العلوم ما كان منها وما يكون، فالقرآن في نظر أصحاب هذه الطريقة يشمل- إلى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية- سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها، وتعدد ألوامها.^{٤٧}

^{٤٥} كامل موسى وعلي دحروج، المصدر السابق، ص: ٢٤٣، انظر أيضا محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، جزء: ٢ ص: ٤٣٢، عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٣١-٣٢، انظر أيضا Quraish Shihab, op,cit. hal: 179

^{٤٦} وفنون العلم التي أخذها الملة الإسلامية من القرآن مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجمة، وغير ذلك من العلوم.

^{٤٧} محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، ج ٢ ص: ٤٧٤، انظر عبد الحي الفرماوي، المصدر السابق، ص: ٣٥-٣٦

ويظهر لنا أن إمام الغزالي أكثر من استوفى بيان هذا القول في تفسير القرآن وبين كتاب الإحياء لغزالي فنجده يعقب الباب الرابع من أبواب تلاوة القرآن، في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل.^{٤٨} ثم نتصف كتابه كجواهر القرآن" الذي ألفه بعد الإحياء كما يظهر لنا من مقدمته فنجده يزيد هذا الذي قرره في الإحياء بيانا وتفصيلا. فيعقد الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها وما يتصل بها من القرآن. ومثل التفسير في هذا اللون هو: "تفسير الجواهر" للطنطاوي الجوهري، "تفسير العلمي لآية الكونية في القرآن" للدكتور حنفي أحمد، "تفسير آية الكونية" لعبد الله شحاتة و"من آيات الكونية في القرآن الكريم" ل محمد جلال الدين أفندي.

(٥) التفسير الأدبي الاجتماعي

يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف. الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلَوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيقٍ أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظِّمُ العمران.

وأهم الرجال في هذا اللون هو الإمام الشيخ محمد عبده وزعيمه وعميده، ثم محمد السيد رشيد رضا في تفسيرهما: "تفسير القرآن الحكيم المشهور بالتفسير المنار"، ثم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

^{٤٨} نفس المرجع، ج ٢ ص: ٤٧٥

التفسير المراغي"، وتفسير " في ظلا القرآن " لسيد قطب وهما خير من أنجت هذا اللون وخير من ترسم
خطا الأستاذ الإمام، وسار على منهجه وطريقته في التفسير^{٤٩}.

٦) التفسير الكلامي

وهو تفسير كان لونه الغالب هو الدفاع عن عقيدة المفسر في عرض الآيات التي لها تعلق بالموضوع
العقائدي أو الفقهي المذهبي. فالمفسر في هذا اللون مولع بعرض المباحث الكلامية بأي مناسبة في الآية
لإثبات عقيدة، أو تعريض وتفنيد عقيدة أخرى.

ومن جهة، كان للقرآن أثر لا ينكر على الدراسات الكلامية من حيث بيانه للعقائد الإسلامية، ومن
حيث مناقشته للعقائد والأفكار المضادة، كالدهرية والوثنية واليهودية والمسيحية، واحتواؤه على المحكم
والمتشابه من الآيات، الأمر الذي أعطى فرصة للإختلاف، حيث يتخذ كل تيار فكري بارز من المذاهب
الإسلامية سنداً على موافقته للإسلام ومطابقته لما جاء الرسول، ومن ثم يحاول كل طرف من هذه المذاهب
على اختلاف درجات ثقافتهم وتعصبهم أن يستنتج من الآيات القرآنية ما يثبت به صحة أفكاره
وعقائده. فالذي كان بارزاً في تفسيره اللون الكلامي، يخوض في الاختلافات ويبرز تعصبه العقائدي،
ويتمسك بأفكاره التي تتهم المقابل بالتكفير والتعصب ويتخذ الجانب السلي من دون إمعان في جوانبه
الأخرى. وإن كان يمكن أن يتجه المفسر في خوضه للمباحث الكلامية إلى عرض الآراء والدفاع عن عقيدة
خاصة من دون سب وتكفير وتعصب.^{٥٠}

^{٤٩} محمد حسين الذهبي، نفس المرجع، ج : ٢ ص : ٥٥١، انظر أيضاً عبد الحي الفرموي، المصدر السابق، ص : ٤١ - ٤٢

^{٥٠} محمد علي ايازي، المصدر السابق، ص : ٥٦

٣. الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

أ. الشيعة وعقائدهم

الشيعة في الأصل، هم الذين شايعوا علياً وأهل بيته ووالوهم، وقالوا: إن علياً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الخلافة حق له، استحقها بوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم،^{٥١} وهي لا تخرج عنه في حياته، ولا عن أبنائه بعد وفاته، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحد من أمرين: أحدهما: أن يغتصب غاصب ظالم هذا الحق لنفسه.

ثانيهما: أن يتخلى صاحب الحق عنه في الظاهر، تقيّةً منه، ودرءاً للشر عن نفسه وعن أتباعه.

وهذا المذهب الشيعي، من أقدم المذاهب الإسلامية، وقد كان مبدأ ظهوره في آخر عهد عثمان رضي الله عنه، ثم نما واتسع على عهد علي رضي الله عنه، إذ كان كلما اختلط - رضي الله عنه - بالناس تملكهم العجب، واستولت عليهم الدهشة، مما يظهر لهم من قوة دينه، ومكنون علمه، وعظيم مواهبه، فاستغل الدعاة كل هذا الإعجاب وأخذوا ينشرون مذهبهم بين الناس.^{٥٢}

ثم جاء عصر ، أمية وفيه وقعت المظالم على العلويين، ونزلت بهم محن قاسية، أثارت كامن المحبة

لهم، وحركت دفين الشفقة عليهم، ورأى الناس في علي ودُرَيْتِه شهداء هذا الظلم الأمور، فاتسع نطاق هذا المذهب الشيعي وكثر أنصاره. ويظهر لنا أن هذا الحب لعلي وأهل بيته، وتفضيلهم على من سواهم، ليس بالأمر الذي جدَّ وحدث بعد عصر الصحابة، بل وُجِدَ من الصحابة من كان يحب علياً ويرى أنه أفضل

^{٥١} السيد عبد الرسول الموسوي، الشيعة في التاريخ، مكتبة مدلوب، القاهرة. الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م. ص ١١ - ١٣

^{٥٢} محمد أبو زهرة، الميراث عند الجعفرية، دار الفكر العربي، بيروت، ص: ٢٠، الدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، الجزء

الثاني، ص : ٣، Ignaz Goldziher, *Mazhab Tafsir*, eLSAQ Press, Yogyakarta 2003, hal: 315-317

من سائر الصحابة، وأنه أولى بالخلافة من غيره، كعمّار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله وغيرهم. غير أن هذا الحب والتفضيل لم يمنع أصحابه من مبايعة الخلفاء الذين سبقوا علياً رضي الله عنه، لعلمهم أن الأمر شورى بينهم، وأن صلاح الإسلام والمسلمين لا بد له من شمل متحد وكلمة مجموعة، كما أن الأمر لم يصل بهم إلى القول بالمبدأ الذي تكاد تتفق عليه كلمة الشيعة، ويروونه قوام مذهبهم وعقيدتهم وهو " أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تُفوّض إلى رُ الأئمة، ويعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأئمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه رسول الله. لم يكن الشيعة جميعاً متفقين في المذهب، والعقيدة، بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلى فرقٍ عدّة، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين، كان لهما كل الأثر تقريباً في تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم^{٥٣} :

أولهما: اختلافهم في المبادئ والتعاليم، فمنهم من تغالى في تشييعه وتطرّف فيه إلى حد جعله يلقي على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم، ويرمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر. ومنهم من اعتدل في تشييعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلى درجة الكفر.

^{٥٣} الدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص: ٤

وثانيهما: الاختلاف في تعيين الأئمة، وذلك أنهم اتفقوا جميعاً على إمامة علي رضي الله عنه، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده، ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه. ولما قُتل الحسين على عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضي الله عنه:

وفريق يرى أن الخلافة بعد قتل الحسين انتقلت إلى أخيه من أبيه، محمد ابن علي، المعروف بابن الحنفية، فبايعوه بها.

وفريق ثان: يرى حصر الإمامة في ولد علي من فاطمة، وقد أصبحت بعد قتل الحسين حقاً لأولاد الحسن، لأنه أكبر إخوته فلا يؤثر بها غير أولاده، وهم ينتظرون كبيرهم ليبايعوا أرشدهم.

وفريق ثالث: يرى ما يراه الفريق الثاني من حصرها في ولد علي من فاطمة، غاية الأمر أنه يقول: إن الحسن قد تنازل عنها فسقط حق أولاده فيها، وبقيت الإمامة حقاً لأولاد الحسين الذي قُتل من أجلها فهم أولى بالانتظار. بلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حداً كبيراً من الكثرة، منها من تغالى في تشييعه وتجاوز بمعتقداته حد العقل والإيمان، ومنها من اعتدل في تشييعه فلم تبالغ كما بالغ غيرها.^{٥٤}

ب. أركان الإسلام والإيمان عند الشيعة

أما أركان الإسلام في الشيعة وهي: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الولاية. وأما أركان الإيمان في الشيعة وهي: التوحيد، النبوة، الإمامة، العدل، المعاد.

^{٥٤} نفس المرجع، الجزء الثاني، ص: ٥

ج. الإمامية

أما الإمامية فهم القائلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً، لا بطريق التعريض بالوصف كما يقول الزيدية، كما أنهم يحصرون الإمامة بعد علي في ولده من فاطمة رضي الله عنها. وأصحاب هذا المذهب قد بالغوا في تشيعهم، وتعدوا حدود العقل والشرع، فكفروا الكثير من الصحابة، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعلي رضي الله عنه، فأوجبوا التبرؤ منهما، ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل، كالعلامة الطبرسي صاحب التفسير^{٥٥}.

وقد اتفق الإمامية على إمامة علي رضي الله عنه، ثم انتقلت الإمامة إلى ابنه الحسن بالوصية له من أبيه، ثم إلى أخيه الحسين من بعده، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم اختلفوا بعد ذلك في سوق الإمامة. وانقسموا إلى فرق عدة أشهرها فرقتان: الإمامية الإثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية.

أما الإمامية الإثنا عشرية، فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى ابنه محمد الجواد، ثم إلى ابنه علي الهادي، ثم إلى ابنه الحسن العسكري، ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بـ "سر من رأى" ولم يعد بعد، وأنه سيخرج في آخر الزمان، ليملاً الدنيا عدلاً وأمناً، كما مُكِّت ظلماً وخوفاً. وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة، فزعموا: أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء. وقالوا: إن الإيمان بالإمام

^{٥٥} السيد عبد الرسول الموسوي، المصدر السابق، ص: ٤٨، انظر الدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، ص: ٧، اللواء حسن صادق، جذور الفتنة بين الفرق الإسلامية، مكتبة مدلوب، القاهرة ٢٠٠٣، ص: ٦٦.

جزء من الإيمان بالله، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر، وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة.^{٥٦}

وهذه عشرة مسائل الإمامة: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وأن الأرض لا تخلو عن إمام الحق، أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله، وأن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام، نسبة الإمام كنسبة النفس إلى البدن على نحو يليق بجنابه، أن الصالحين من كل أمة وأعمالهم الصالحة ملحقه به، أن الإمام يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس، وأنه يستحيل أن يكون فيهم من يفوقه في فضائل النفس، وأن صراط السعادة كما يقتضي الإمام، كذلك يقتضيه صراط الشقاوة، أن الإمامين لا يجتمعان في زمان واحد.^{٥٧}

د. أشهر تعاليم الإمامية الإثنا عشرية

وأشهر تعاليم الإمامية الإثنا عشرية أمور أربعة: العصمة، والمهدية، والرجعة، والتقية.

أما العصمة: فيقصدون منها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم، ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان.

وأما المهدية: فيقصدون منها الإمام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملاً الأرض أمناً وعدلاً، بعد أن ملئت خوفاً وجوراً. وأول من قال بهذا هو "كيسان" مولى عليّ بن أبي طالب في محمد ابن الحنفية. ثم تسرّبت إلى طوائف الإمامية، فكان لكل منها مهدي منتظر.

^{٥٦} السيد عبد الرسول الموسوي، نفس المرجع، ص: ٧٤

^{٥٧} الطباطبائي، تفسير البيان في الموافقة بين القرآن والحديث. دار التعارف، بيروت- لبنان. الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م / ١٤٢٧ هـ. ص:

وأما الرجعة: فهي عقيدة لازمة لفكرة المهديّة، ومعناها: أنه بعد ظهور المهدي المنتظر، يرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا، ويرجع عليّ، والحسن، والحسين، بل وكل الأئمة، كما يرجع خصومهم، كأبي بكر وعمر، فيُقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم، ثم يموتون جميعاً، ثم يحيون يوم القيامة.

وأما التقيّة: فمعناها المداراة والمصانعة، وهي مبدأ أساسي عندهم، وجزء من الدين يكتُمونه عن الناس، فهي نظام سري يسرون على تعاليمه، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة^{٥٨}.

هـ. موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم

إذا نحن أجّلنا النظر في مذهب الشيعة، وجدنا أصحابه لم يسلموا من التفرق والتحزب والانقسام في الرأي والعقيدة. فبيننا نجد الغلاة الذين رفعوا علياً إلى مرتبة الآلهة فكفروا، نجد المعتدلين الذين يرون علياً أفضل من غيره من الصحابة، وأنه أحق بالولاية وأولى بها من غيره فحسب، ونجد من يقف موقفاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، فلا هو يؤلّه علياً، ولا هو يرى أنه بشر يُخطيء ويصيب، بل يرى أنه معصوم، وأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منازع ولا مدافع وإن غلب على أمره واعتصبت الولاية منه^{٥٩}. ولم يكن أمر الشيعة عند حد الانقسام إلى حزبين أو ثلاثة، بل تفرقت بهم الأهواء - كما قلنا - إلى حد الكثرة في التحزب، وكان كل حزب له عقيدة خاصة لا يشاركه فيها غيره، ورأى خاص لا يقول به سواه.

^{٥٨} الدكتور محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، ص: ٩

^{٥٩} نفس المصدر، ص: ١٢ - ١٩

و. موقفهم من الأئمة وأثر ذلك في تفسيرهم

وإذا نحن استعرضنا هذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أئمتهم، فهم يلقون على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم، ويرون أن الأئمة "أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجة الله البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى"، ويرون أن الإمامة "زام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين^{٦٠}".

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يحكم عليه، وفوق الناس في طينته وتصرفاته، فإننا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التي للأنبياء والرسل، وأنه مُشَرِّعٌ وَمُنَقِّدٌ، وأن الله قد فَوَّضَ النبي والإمام في الدين، ويروون عن الصادق أنه قال: "إن الله خلق نبيه على أحسن أدب وأرشد عقل، ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)^{٦١} ثم أثنى الله عليه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^{٦٢} ثم بعد ذلك فَوَّضَ إليه دينه، فَوَّضَ إليه التشريع فقال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^{٦٣} والله فَوَّضَ دينه إلى نبيه. ثم إن نبي الله فَوَّضَ كل ذلك إلى عليّ وأولاده سلَّمتم وجحدته الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، وما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا."

^{٦٠} نفس المصدر، ص: ٢٣

^{٦١} الأعراف: ١٩٩

^{٦٢} القلم: ٤

^{٦٣} الحشر: ٧

وحيث إن الله تعالى خلق النبي وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد عقل، فلا يختار النبي ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب، ولا يخطر بقلب النبي ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يتناقض مصلحة الأمة، فيفوض الله تعيين بعض الأمور إلى رأي النبي ورأي الإمام، مثل الزيادة في عدد ركعات الفرض، ومثل تعيين النوافل من الصلاة والصيام، وذلك إظهاراً لكرامة النبي والإمام، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام، وله في الشرع شواهد: حرّم الله الخمر، وحرّم النبي كل مسكر فأجازة الله، وفرض الله الفرائض ولم يذكر الحد، فجعل النبي للحد السدس، وكان النبي يُبشّر ويُعطي الجنة على الله ويحيزه الله.

وأيضاً فوّض الله للنبي والأئمة من بعده أمور الخلق، وأمور الإدارة والسياسة من التأديب والتكميل والتعليم، وواجب على الناس طاعتهم في كل ذلك. قالوا: وهذا حق ثابت دلت الأخبار عليه.

وأيضاً فوّضهم الله تعالى في البيان، بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات القرآن وتأويلها، ولهم أن يُبينوا ولهم أن يسكتوا، ولهم فوق ذلك البيان كيفما أرادوا وعلى أي وجه شاءوا، تقيّة منهم وعلى حسب الأحوال والمصلحة. تفويض بهذا المعنى يدعون أنه حق ثابت لهم، والأخبار ناطقة به وشاهدة عليه.

يقول صاحب الكافي: "سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة في كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب، أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة، واختلاف الأجوبة في مسألة واحدة كان يقع إما على سبيل التقيّة وإما على سبيل التفويض."

وهناك نوع آخر من التفويض يشبونه للنبي والأئمة، ذلك هو أن النبي أو الإمام له أن يحكم بظاهر الشريعة، وله أن يترك الظاهر ويحكم بما يراه وما يلهمه الله من الواقع وخالص الحق في كل واقعة، كما كان لصاحب موسى في قصة الكهف، وكما وقع لدى القرنين.

كان من توابع هذه العقيدة التي يعتقدونها في أئمتهم أن قالوا بعصمة الأئمة، وقالوا بالمهدي المنتظر، وقالوا بالرجعة، وقالوا بالتقية، وهذه كلها عقائد رسخت في أذهانهم وتمكنت من عقولهم، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم العقيدة ويزينه لهم الهوى. وهذا تفسير بالرأي المذموم، تفسير من اعتقد أولاً، ثم فسّر ثانياً بعد أن اعتقد.^{٦٤}

^{٦٤} الذهبي، المصادر السابق، ص: ٢٥